

تاريخ القبول: 2023/03/15

تاريخ الإرسال: 2022/05/29

تاريخ النشر: 2023/06/03

قراءة نقدية في المختصرات النحوية في التراث العربي  
 كتاب المختصر في النحو لابن أبي عباد اليميني أنموذجاً-  
**Critical reading of grammatical abbreviations in  
 Arab heritage “Al Mokhtasar fi annahw”(The  
 Abbreviated in Grammar) by Ibn Abi Abbad Al-**

د. فيصل جلايبية

جامعة سوق أهراس (الجزائر)، djelaibia.fayssal@gmail.com

**الملخص:**

تُعدُّ المختصراتُ النحوية ظاهرةً بارزةً في الفكر العربي الإسلامي، وقد وقف إزاءها النقاد من خلال موقفين مختلفتين؛ تمثل الموقف الأول من خلال المبالغة في نقدها دون تقديم البديل المناسب لها، وتجلّى الموقف الثاني في المبالغة في أهميتها.

ونسعى من خلال هذا المقال إلى تقديم قراءة نقدية في ظاهرة المختصرات النحوية في التراث العربي، من خلال الوقوف على أوجه النقد الموجهة لهذا النمط من التأليف قديماً وحديثاً، إضافة تحليل كتاب المختصر في النحو لابن أبي عباد اليميني بهدف الكشف عن قيمته العلمية والمنهجية والتربوية والتي نفيدها منها في بناء مناهج النحو الدراسية.

**الكلمات المفتاحية:** مختصرات نحوية، تراث عربي، مختصر في النحو، ابن أبي عباد.

**Abstract:**

Grammatical abbreviations are a prominent phenomenon in Arab Islamic thought, towards which critics have stood in two different positions; the first position was represented by an exaggeration in its criticism without providing an appropriate alternative to it, and the second position was manifested in exaggerating its importance.

We seek through this article to provide a critical reading on the phenomenon of grammatical abbreviations in Arab heritage, by examining the types of criticism directed to this pattern of authorship in the past and in the present, in addition to an analysis of the book “Al Mokhtasar fi annahw” (the abbreviated in grammar) by Ibn Abi Abbad Al-Yamani, in order to reveal its scientific, methodological and educational value, from which we benefit in building grammar curricula.

**Keywords:** grammatical abbreviations, Arabic heritage, “Al Mokhtasar fi annahw” (the abbreviated grammar), Ibn Abi Abbad

المؤلف المرسل: د/ فيصل جلايبية ، الإيميل: [djelaibia.fayssal@gmail.com](mailto:djelaibia.fayssal@gmail.com)

## 1-مقدمة:

تُعدُّ مشكلة تعليم النحو ظاهرة شديدة الوضوح في التراث العربي؛ إذ لا يخلو قرن من مؤلفين حاولوا تذليل النحو للناشئة والمتعلمين، عن طريق المختصرات النحوية، وقد بدأ التأليف في المختصرات النحوية الثرية منذ نهاية القرن الثاني الهجري واستمر تأليفها في التراث العربي على فترات دون انقطاع<sup>1</sup>؛ وذلك لأنَّ الحاجة قائمةً إلى هذا النوع من المؤلفات للمتعلمين، وقد شارك في إعداد المختصرات النحوية العرب وغير العرب بدافع تعليم العربية، تقرباً إلى الله وخدمة لكتابه العزيز. كما شارك في تأليفها النحاة على اختلاف مذاهبهم من بصريين

وكوفيين وبغداديين وشاميين ومصريين وأندلسيين؛ مما يدل على وعي الجميع بمشكلة تعليم النحو. ولم يقتصر التأليف في المختصرات النحوية على النحاة فحسب، وإنما شارك في إنتاجها مفسرون وأصوليون وفقهاء ومناطقة وفلاسفة ومؤرخون وبلغاء ونقاد وأدباء.

## 2- قراءة تقويمية للمختصرات النحوية في التراث العربي:

تشكل المختصرات النحوية نمطا تصنيفيا يحمل جملة من النقائص والمآخذ عند بعض النقاد من المتقدمين والمعاصرين، لعلَّ أبرزها الإيجاز المخل، ويظهر ذلك بوضوح في المتون النظامية التي تقوم على كثافة المعلومات، وتكديس المعاني، واختزال الألفاظ والعبارات؛ مما يؤدي إلى غموض المعنى وصعوبة فهمه؛ فهي «مختصرات صغيرة الحجم، كثيفة من حيث المعلومات، بعضها موجز مفرط في الإيجاز حتى كاد يعد من جملة الألفاظ (كألفية ابن مالك مثلا)»<sup>2</sup>.

تتميز ألفاظ المختصرات النحوية بالصعوبة لذلك تأخذ وقتا طويلا من المتعلم لكشف ما فيها من غموض، وتسهيل ما فيها من صعوبات. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «.... ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها؛ لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت»<sup>3</sup>. كما تخلو المختصرات النحوية غالبا من العمق في التفكير، والإبداع في النتائج، بل إن العصر الذي برز فيه تأليف المختصرات وُسم بأنه عصر انحطاط وجمود كثر فيه التكرار والاجترار، وانعدمت فيه الأصالة والإبداع. فمجهود أصحاب المختصرات النحوية «لم يخرج عن كونه مجهودا دراسيا أكثر منه إبداعا علميا، والاجتهاد هو في أعمال الذهن أو توليد الفكرة أو مناقشة رأي أو توجيه مثال»<sup>4</sup>.

إضافة إلى أن التأليف في المختصرات النحوية كان تأليفا فرديا وليس جماعيا، مع افتقار كثير منها إلى الأبعاد التربوية واللسانية.

يرى بعض نقاد المختصرات النحوية أن «اختزال كتب المختصرات للنحو قد أضر بالمفاهيم النحوية العربية الأصيلة. وإنَّ اعتماد بعض المحدثين عليها في حديثهم عن ضوابط المنهج وقواعد التوجيه في النظرية النحوية العربية القديمة جعل تلخيصهم لهذه الضوابط يؤول إلى تحريفها تحريفا واضحا<sup>5</sup>.

تفتقر المختصرات إلى التمارين التطبيقية التي تساعد المتعلمين «على ترسيخ القواعد، والتي تعين على التطبيق؛ ولأنها تراوح أحيانا بين الزيادة في بعض الأبواب والنقص في أبواب أخرى، فأساليبها ومحتوياتها ومناهج تصنيفها لا تتفق مع الحقائق التربوية الحديثة، والمناهج التربوية العصرية»<sup>6</sup>. وقد أكد ابن خلدون على أهمية المران والترسيخ في عملية الاكتساب للتعلم أثناء حديثه عن ثلاث طرق من طرائق تعليم الملكة اللسانية ألا وهي: تعليم المشاركة وتعليم المغاربة وتعليم الأندلسيين، فقال: «وأما المخالطون لكتب المتأخرين، العارية عن ذلك (أي شواهد العرب وأمثالها) إلا من القوانين النحوية، مجردة من أشعار العرب و كلامهم، فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها، فتجدهم يحسبون أنهم حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه، وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم؛ لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقه في كثير من التراكيب في مجالس تعليمهم... وأما من سواهم من أهل المغرب وإفريقية وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا، وقطعوا النظر عن النطق في تراكيب كلام العرب إلا إن أعربوا شاهدا أو رجحوا معنى من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه، فأصبحت صناعة العربية (عندهم) كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، وبعدت عن مناحي

اللسان وملكته...وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه، وتمييز أساليبه، وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان»<sup>7</sup>.

تتشارك المختصرات النحوية في سمة عامة، تتمثل في الجمود والاجترار والتكرار في ذكر الأبواب وطبيعة الأمثلة وكيفية صياغة القاعدة؛ مما جعل هذه المنظومة التأليفية مجرد قواعد متحجرة لا تسهم في تنمية الذوق، وتكوين الملكة للمتعلم. بل يرى بعض العلماء أن المادة العلمية الموجودة في تلك المختصرات لا تصلح للتدريس المباشر ففي حقيقتها توصف بأنها «كتب ألقت على أسوأ الأساليب في التأليف، متن موجز إيجازاً مخلأً، كأن مؤلفه بخيل كلف بأن يرسله في برقية إلى استراليا يغرم أجرتها من ماله، فهو يقتصد في الكلمات لتقل عليه النفقات .... بعيدة عن البيان بعد الأرض عن السماء معقدة العبارة أعجمية السبك، وإن كانت عربية الكلمات...»<sup>8</sup>. كما تقتصر المختصرات النحوية إلى الوضوح في عرض الأبواب النحوية، وفي هذا الصدد يقول الطاهر بن عاشور: «فكان سائر الناس ينظر إلى تأليف المشرق نظر المشوق ويتهافتون لتحصيلها، ولكن نشأ لهم من ذلك ولع بحب الاختصار وبكثرة البحث؛ فخرجوا من جادة العلم إلى مناقشات اللفظ والتعقيدات، ومن العجب أن صار المؤلف يصرف جهده إلى أن تكون عباراته مضبوطة جارية على الصواب، لكنها غير واضحة في مراده، فكأنه يقتنع بكونها مؤدية للمراد في ذاتها بقطع النظر عن عسر استقادة مطالعها ذلك...»<sup>9</sup>. وقد حدث هذا في عصر الانحطاط عندما أصبحت العربية وكأنها لغة أجنبية؛ ولذلك تضمنت كتبهم الاتساق (الشكل والتركيب)، وغاب عنها الانسجام (المعنى والدلالة).

لا تفيده المختصرات النحوية في إكساب المتعلمين عافية التعبير؛ فبسببها «نشأت عقدة اللسان واستتار المسائل تحت الألفاظ... فضعفت الأفهام، وتهيأت لشرح تلك

المغلقات، وإضاعة بقية الأوقات، والخصومة في معاني الكلمات، هل تدل على ما قصده المؤلف أو لا، ... وفي ذلك يضيع عمر الطالب ويخور فكره، ويصبح رجلاً قادراً على المكابرة واللجاج بغير حجاج،..<sup>10</sup>. وقد شاب كثيراً من المختصرات النحوية كثرة المصطلحات العقلية والفلسفية والعلل مما نتج عنه «عدم ملاحظة من وضع لمستواهم الكتاب، ويترتب على هذا نفور بعض الطلاب الذين لم يتحلوا بفضيلة الجاد والصبر، حين صدموا في مطلع حياتهم العلمية بهذه الكتب، وعيوا بأمرها، وانطمست عليهم مسالكها»<sup>11</sup>. كما أنتقدت المختصرات النحوية من حيث إن المادة النحوية الموجودة فيها عبارة عن نحو مفردات متناثرة، وليس نحوَ جمل وتراكيب وأساليب؛ مع أنَّ الجملة هي «أساس التعبير، والصورة اللفظية الصغرى التي تطوي في ثناياها فكرة تامة صدرت عن نفس المتكلم لتصل بها إلى مخاطب منتظر. والجملة خاضعة لمناسبات القول، وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب، ولا يتم التفاهم في أي لغة إلا إذا رُوِّعيت تلك المناسبات، وأخذت العلاقة بين أصحابها بعين الاعتبار، ولن يكون الكلام مفيداً ولا الخبر مؤدياً غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظاً ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول»<sup>12</sup>.

على الرغم من الإيجابيات والمزايا الموجودة في المختصرات النحوية؛ إلا أن كثيراً منها أفرط في التركيز على الجانب المعرفي التحصيلي بالإكثار من الموضوعات النحوية، على حساب العناية بالجانب المهاري الاكتسابي، ولا شك أن هذا الصنيع يجعل من مادة النحو غاية في حد ذاتها، والحق أن علم النحو ينتمي إلى جملة علوم الوسائل التي ينبغي أن لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع فيها المسائل على حدّ تعبير ابن خلدون.<sup>13</sup> هذه أهم الانتقادات في نظري التي وجهت قديماً وحديثاً لجل المختصرات النحوية، وفيما يأتي مناقشة لهذه النقود:

إنَّ الغموض وعدم الوضوح الذي عدَّ عيباً في المختصرات النحوية، لم يكن من الظواهر التي انفرد بها هذا النمط من التأليف وحده حتى يوجه إليه النقد دون غيره؛ فإن كثيراً من كتب النحو القديمة لا تخلو من ذلك، وإلا فأين الوضوح في كتاب سيبويه الذي استغلق فهمه حتى على المتخصصين، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الشروح الكثيرة التي حامت حول كتاب سيبويه هدفها تجلية الغموض الذي يكتفه، وهكذا الأمر في المختصرات النحوية، فالغاية منها استحضارها «وقت الدرس لتكون موضع المناقشة والشرح ومن ثمَّ يعتمد بعض المدرسين بعد إلى تناول المتن بالشرح مرة أخرى ليجلي ما قد يكون غامضاً منها ويفصل ما قد يكون مجملاً...»<sup>14</sup>. ثم إنَّ هذا النمط من التأليف كان يرمي إلى غاية تعليمية، ناتجة من طبيعة بنائه اللغوي القائم على الاختصار، وقد بين بعض الباحثين هذه الغاية بقوله: «إنَّ معالجة العبارات والنقاش في تأويل معناها ومبناها، والدوران حولها لتفهما بطرق مختلفة، وتعرف نقصها وتذليل صعابها وتجلية غموضها، كل هذا له فائدة في شحذ الفكر وتكوين ملكة الفهم، والمران على حل المعضلات اللفظية وعلى الجدل العلمي»<sup>15</sup>.

مما عدَّ عيباً في المختصرات النحوية كونها نمطاً تأليفياً قائماً على أساس الإيجاز، ويبدو لي أن هذا النقد يُدفع بأمرين أولهما أنَّ السبب في قيام المختصرات النحوية على أساس الإيجاز يرجع في أنها أُلِّفَتْ أصلاً لغاية الحفظ والاستظهار، ومعلوم أن سرعة الحفظ تتناسب مع الإيجاز طرداً وعكساً فكما كان الكتاب أخصر كان للحفظ أسهل. والأمر الثاني أنَّ بناء المختصرات النحوية على الإيجاز لا يُعدُّ عيباً فيها؛ لأنَّ الإيجاز في حقيقة الأمر «طور طبيعي في تاريخ التأليف، إذ لا بد أن يعقب طور التوسع طور يقرب لطلاب العلم وناشئته تناول مسائل العلم، ويعاونهم على بلوغ إربتهم من العلم في وجازة وعجلة، وبخاصة صغار المثقفين، ويجمع لهم

حقائق العلم في متون يسهل حفظها...»<sup>16</sup>. أمّا ما قيل عن المختصرات من أنها تتسم بالصعوبة؛ لذلك تأخذ وقتاً طويلاً من المتعلم لكشف ما فيها من غموض، وتسهيل ما فيها من صعوبات، كما سبق ذكره من كلام ابن خلدون. فالصعوبة وإن وجدت في بعض المختصرات وبخاصة النظمية منها، فلها فائدة ذكرها الشيخ محمد عرفة الذي يرى أن الأمم إنما «تمتاز بفهم الغامض وإدراك البعيد وحل المستغلق، وذلك لا يكون إلا بتعويد المرء على شيء من الصعاب؛ ليمن عقله على حل ما يمثّلها، وكما أن الرياضي لا يكون قوياً على حمل الأثقال إلا بالتعود على حمل أحمال ثقيلة متدرجاً في ذلك، كذلك لا يكون عقله قادراً على حل الصعاب إلا إذا عود عقله على حل مسائل عويصة متدرجاً في ذلك»<sup>17</sup>.

وأما ما قيل عن العصر الذي كثر فيه هذا النمط من التأليف المتمثل في المختصرات، بأنه عصر انحطاط وجمود، هو قول يدفعه الواقع التاريخي، فهذا العصر الذي وسم بهذه السمة هو الذي أخرج ابن الحاجب وابن مالك وابن هشام والسيوطي وابن خلدون، وابن تيمية... ثم إنَّ وصف عصره بأكمله بأنه عصر انحطاط وجمود فيه شيء من المبالغة وإطلاق الأحكام الجاهزة التي تتنافى مع طبيعة البحث العلمي.

إنَّ طبيعة المختصرات النحوية المبنية على الإيجاز تمكن المتعلم من حفظ أكبر عدد من مسائل النحو واستحضارها عند الحاجة إليها، وقد تحققت هذه الغاية «يوم كان المتعلمون فارغين لها، منقطعين لحفظها ودرسها وفك طلاسمها بملازمة أساتذتهم وعلمائهم، والرجوع إليهم وإلى الشروح والتقارير... أما اليوم فلا شيء من ذلك كله، فالحاجة إلى النحو ليست في المرتبة الأولى لدى كثير من الناس وطلاب الدراسات العليا.. وإنما هي حاجة المستكمل الذي تدفعه روح العصر إلى التجمل



بألوان من الثقافة العامة لا يليق بالمتحضر أن يجهلها، ولا أن يجرد نفسه من قدر منها، فهو في تعلمها غير أصيل، وحفظه منها يسير»<sup>18</sup>.

من أوجه النقد الموجهة للمختصرات النحوية، أنَّها لم تضيف جديداً؛ فهي تخلو من الأصالة والإبداع. والجواب على ذلك أن نقول: إنَّ هذا النمط من التأليف يندرج ضمن ما يسمى بالنحو التعليمي الذي يمثل المستوى الوظيفي النافع لتقويم اللسان وسلامة الخطاب، وأداء الغرض فهو يركز على ما يحتاجه المتعلم. بخلاف النحو العلمي التحليلي الذي يقوم على نظرية لغوية تنشُد الدقة في الوصف والتفسير، ويتسم بالتخصص والعمق ويدرس لذاته، وهذا المستوى من النحو - كما يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح - يعد نشاطاً قائماً برأسه، أهدافه القريبة الخاصة به هي الاكتشاف المستمر والخلق والإبداع. ثم إنَّ الجديد في المختصرات النحوية وإن لم يكن على مستوى المضمون من حيث العمق والإبداع والابتكار؛ فهو موجود على مستوى الشكل، وذلك بإعادة عرض النحو عرضاً جديداً يختلف عما كان عليه النحاة الأقدمون. مع العلم أن المختصرات النحوية تشكل «ثروة علمية عظيمة خلدت مع الزمان، وحفلت بالمعارف المفيدة والآراء السديدة والنظرات المبتكرة، إضافة إلى ميزة أخرى هي أن هذه المنظومة التأليفية حفظت نصوصاً من أصول ومصادر ضاعت من يد الزمن، ولم تصلنا غير أسمائها....»<sup>19</sup>.

وأخيراً نقول مهما كان النقد الموجه للمختصرات النحوية؛ فإنها شكلت - بلا شك - جزءاً كبيراً من التراث العربي الإسلامي وقد «انتظمت في إطار عام متنوع، وهو الإطار الذي لا يمكن معه أن تُرمى بأنها جميعاً صوراً متقاربة ليس بين أكثرها مقدار واسع من التفاوت في الموضوع والمنهج والأسلوب، أو في طريقة عرض المعلومات وحجمها. هذا مع الإقرار بأن بعضها لم يكد يخرج عن غيره أو يزيد عليه أو يبتعد عنه؛ مما لا يجعل لشيء من هذه المصنفات القليلة مزية علمية ترفعه على ما سبقه

أو عاصره أو لحقه من المصنفات المشابهة»<sup>20</sup>. بعد أن قدمنا قراءة تقييمية للمختصرات النحوية في التراث العربي، نعقد المبحث الثاني لتقديم قراءة تحليلية نقدية في كتاب المختصر في النحو لابن أبي عبّاد، بهدف الكشف عن قيمته العلمية والمنهجية والتربوية التي نفيدها منها في استثمارها في بناء مناهج النحو الدراسية.<sup>21</sup>

**3-قراءة نقدية في كتاب المختصر في النحو: لابن أبي عبّاد اليميني(ت 440هـ)**<sup>23</sup> يعدُّ كتاب المختصر في النحو كتاباً صغير الحجم، من قبيل المختصرات النحوية -كما هو واضح من اسمه- التي تصلح للمبتدئين، وقد حظي هذا المختصر بشهرة واسعة في اليمن فقد كان معتمداً أهل اليمن حتى القرن الحادي عشر الهجري<sup>24</sup>. وقد ضمن المؤلف كتابه أربعة وخمسين باباً، تتوعت بين النحو والصرف<sup>25</sup> وكتاب المختصر في النحو لابن أبي عبّاد اليميني كتاب تعليمي تربوي في المقام الأول، وقد بدأ هذا واضحا في الكتاب من خلال منهج مؤلفه في عرض أبواب النحو ومسائله، منها استعماله لكلمة اعلم<sup>26</sup> التي تفيد لفت انتباه المتعلم إلى ما يُلقى إليه من أبواب النحو ومسائله من جهة، ومن جهة أخرى تدل على تواصل المؤلف مع المتعلم، ومن ذلك قوله في باب الحال: «اعلم أن الحال لا يكون إلا نكرة، وهو منصوب؛ لأنه مفعول فيه، ولا يكون إلا بعد تمام الكلام، تقول من ذلك: جاء زيدٌ راكباً. تنصب راكباً على الحال، والمعنى جاء زيد في هذه الحالة راكباً»<sup>27</sup>.

كما نجد ابن أبي عبّاد في مختصره يهتم بذكر الأمثلة التي توضح القاعدة، وتقربها من ذهن المتعلم، ومن ذلك قوله في باب الفاعل والمفعول به: «...نقول من ذلك: ضرب زيد عمراً، فضرب فعل ماضٍ، ورفعت زيدا؛ لأنه فاعل ونصبت عمروا؛ لأنه مفعول به. فإن تثبت قلت: ضرب الزيدان العميرين، وفي الجمع: ضرب الزيدون العميرين وكذلك أكرم أخوك أباك، رفعت الأخ؛ لأنه فاعل، وعلامة الرفع فيه الواو، ونصبت أباك؛ لأنه مفعول به، وعلامة النصب فيه الألف....»<sup>28</sup>

وأما عن طبيعة حدوده وتعريفاته، فقد جاءت تعريفات ابن أبي عباد في الغالب خالية من التعقيد، والمنطق والفلسفة التي غزت مصنفات النحو في زمانه، فكانت غالب تعريفاته واضحة وبسيطة إلى جانب اهتمامه بالمعاني، فمن ذلك قوله في باب ما لم يسم فاعله: « كل اسم لم يسم من فعل به فهو مرفوع، كقولك : ضَرِبَ زيدٌ، وشتمَ عمرو، والأصل فيه ضربَ عبدُ الله زيدًا، فلما رددته إلى ما لم يسم فاعله حذفنا الفاعل وأقمنا المفعول به مقام الفاعل، وعلامة الفعل الذي لم يسم فاعله ضمُّك أوله، وكسرك ثانيه إذا كان ماضيا، وإن كان مستقبلا ضمنت أوله وفتحت ثالثه.... »<sup>29</sup>. فنلاحظ أن تعريفه لنائب الفاعل يتسم بالبساطة والوضوح، وعدم التعقيد الناشئ عن استعمال التعريفات المنطقية والفلسفية، بل نجده يوضح التعريف بذكر عدد من الأمثلة، وبيان علامة الفعل الذي لم يسم فاعله (المبني للمجهول).

وقد عُني ابن أبي عباد في كتابه المختصر في النحو بذكر المعاني اللغوية لبعض أبواب النحو<sup>30</sup>، ومن ذلك قوله: «ومعنى العطف رُدُّ آخر الكلام على أوله حتى يصير إعراب الثاني أبداً كإعراب الأول، ومعنى البدل: البيان، ومعنى التوكيد إزالة الشك والتبعيض... وكان في أول كتابه قد عقد بابا للمعاني، وذكر أنها ستة أنواع: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وتمن. وهذا الذي سلكه المؤلف من بيان بعض المعاني اللغوية لبعض أبواب النحو، وعقدُه بابا للمعاني، يقودنا إلى فكرة جوهرية ينادي بها بعض اللسانيين المعاصرين في ميدان تعليمية النحو، وهو الجمع بين النحو والبلاغة.<sup>31</sup> وهو أمر نحتاجه في تعليم النحو؛ فيعرف المتعلم المعنى اللغوي للمصطلح قبل المعنى الاصطلاحي. ولا شك أن ربط المصطلح النحوي بمعناه الدلالي أو اللغوي، يجعله أكثر قربا من عقل التلميذ؛ بحيث يُسهِّم ذلك في عملية فهمه للمصطلح؛ فهذه المصطلحات النحوية مبني على فهم المضامين اللغوية لتلك المصطلحات.<sup>32</sup>

وتظهر ملامح التيسير والتسهيل على المتعلمين في كتاب المختصر في النحو عند التعرض لذكر مختلف المسائل النحوية، إذ نلاحظ أنّ المؤلف يكتفي بالإشارة إلى آراء العلماء وأقوال أئمة العربية إشارة مجملّة، لا يتعرض فيها لعزو الآراء النحوية إلى أصحابها بالتفصيل؛ فنجده يقول مثلاً في باب جمع الأيام والشهور: «والاثنتين وجمعه: أثناء، وقد حُكيَ اليَوْمُ الإثنُ، وقال بعضهم: أثنانين في جمع الاثنتين وهو خطأ»<sup>33</sup>. فنلاحظ هنا أنّ المؤلف اكتفى بقوله: وقد حُكيَ وقال بعضهم للإشارة إلى الخلاف في المسألة دون أن يبين أو ينصّ على من نقل عنهم، ولا أحسب أن ابن أبي عباد يجهل أصحاب هذه الأقوال، ولكن يبدو أن هذا الصنيع الذي سلكه صاحب المختصر فيه مراعاة لمستوى المتعلمين، وذلك بعدم تشتيت أذهانهم بذكر آراء النحاة ومذاهبهم النحوية بالتفصيل. ومن مظاهر الأسلوب التربوي التعليمي في كتاب المختصر في النحو استخدامه تاء الخطاب التي تدل على اهتمامه بالمتعلم وتواصله معه، ومن ذلك قوله في باب حروف العطف: «...تقول<sup>34</sup> جاني زيد وعمرو، رفعتَ زيداً؛ لأنه فاعل، ورفعتَ عمرًا؛ لأنه عطف عليه...وتقول: جالسَ زيدًا وعمرًا، فإن عطفتَ بأَم قلتَ: أضريتَ الزيدَين أم العمرَين...»<sup>35</sup>. ويبدو الأسلوب التعليمي التربوي واضحاً في كتاب المختصر في النحو في طريقة الإعراب؛ إذ يكتفي المؤلف بذكر الإعراب المجمل الذي يحدد من خلاله أجزاء الجملة، ويبين وظائف عناصرها، وينأى عن التعليل بالعلل الثواني والثالث، ويلزم العلة التعليمية فحسب، ومن ذلك قوله في باب الحروف التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار (باب إن وأخواتها): «...تقولُ من ذلك: إنَّ زيدًا قائمٌ، نصبتَ زيدًا؛ لأنه اسمٌ إنَّ ورفعتَ قائمًا لأنه خبرها، ولعلَّ أخاك مقيمٌ، ولكنَّ بكرًا شاخصٌ، وليتَ عبدُ الله مسافرٌ، فهكذا جميع هذه الحروف، تنصب الاسم، وترفع الخبر...»<sup>36</sup>.

ومما يميز كتاب المختصر في النحو لابن أبي عباد اليماني أنه أفرد بابا تحدث فيه عن معاني الكلام، كما أنه عني بذكر باب سماه باب العربية، بين فيه أن العربية على أربعة مجار: الرفع والنصب والجر والجزم، والجديد في هذا ليس هو التقسيم، ولكن إيراده لكيفية الضم والنصب والجر والجزم بطريقة عملية تناسب إدراكات المتعلمين المبتدئين حيث قال: «... فالرفع بضمك فاك نحو قولك: زيدٌ وعمرو، والنصب بفتحك فاك نحو قولك: زيدًا وعمراء، والجر هذا تلقاء أضراسك: زيدٍ وعمرو. والجزم بين الشفتين، وهو حذف حركة أو حرف نحو قولك: لم يغرُ، ولم يرم، ولم يخشَ، ولم يركبُ، وما أشبه ذلك ...»<sup>37</sup>. فالمؤلف في هذا الباب خرج من الجانب النحوي إلى الجانب الصوتي، وحدد طريقة الأداء؛ حيث بين مواضع مخارج هذه الحروف وكيفية النطق السليم بها.

لم يأت ابن أبي عباد بجديد في كتابه المختصر في النحو، تفرد به عن النحاة السابقين بل «يُلحظُ أنه كان يوافق جمهور النحويين، وأحياناً تكون له اختيارات يوافق فيها بعض النحويين، ويخالف بعضهم الآخر»<sup>38</sup> ونلاحظ من خلال المصطلحات التي ذكرها ابن أبي عباد في كتابه المختصر في النحو، أنه يغلب عليه المذهب البصري، وأمّا الكوفيون فلم ينقل عنهم كثيراً، وإنما ذكر بعض المسائل النحوية والمصطلحات الكوفية دون الإشارة إليهم<sup>39</sup>. والسبب في ذلك أن النحو التعليمي جُله أو كله بصري. ومن ملامح المنهج التربوي التعليمي الذي سلكه ابن أبي عباد في كتابه، تبني الطريقة الحوارية في عرضه لبعض أبواب النحو، ومن ذلك قوله في باب رفع الاثنين والجمع: «إذا قيل لك: ثنَّ زيدا مرفوعاً، قلتَ الزَّيْدَانِ. فإن قيل لك: ما علامة الرفع فيها؟ قلت: الألف والنون زيدت بعدها، عوضاً من الحركة والتنوين الذي يكون في الواحد، فإن قيل ثن زيدا منصوباً أو مجروراً، قلت: الزَّيْدَيْنِ. فإن قيل لك:

ما علامة النصب والجر فيها؟ قلت الياء والنون زيدت بعدها عوض من الحركة والتثوين الذي يكون في الواحد»<sup>40</sup>.

تنوعت شواهد المختصر في النحو بين القرآن الكريم والشعر وأمثال العرب، وهي في الجملة شواهدٌ قليلةٌ من حيث عددها مقارنة بالمختصرات الأخرى؛ فقد استشهد بإحدى وثلاثين آية من القرآن الكريم، وبلغ عدد الشواهد الشعرية سبعة أبيات استشهد بها المؤلف دون أن يذكر نسبتها إلى قائلها، أما أمثال العرب فلم تزد عن خمسة أمثال. والذي يبدو أن المؤلف في تقليده من الشواهد بأنواعها، وإكثاره من الأمثلة كان يرمي إلى هدف تعليمي تربوي يتمثل في التسهيل على المبتدئ عن طريق توضيح القاعدة النحوية من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الأمثلة تساعد المبتدئ على المحاكاة والتقليد، بخلاف الشواهد من القرآن والشعر والأمثال «فمن الصعب على المتعلم محاكاة هذه النماذج ذات اللغة الأدبية الرفيعة»<sup>41</sup>. فهذا الصنيع من ابن أبي عباد مؤداه هو العودة إلى اللغة اليومية؛ أي إلى الكلام المستعمل.

**الخاتمة:** تبين لنا من خلال هذا المقال أنّ المختصراتِ النحويّة شكّلت نظاماً تأليفياً له جملة من النقائص والمآخذ عند بعض النقاد من المتقدمين والمعاصرين، ومهما يكن النقد الموجه إليها فإنها شغلت مساحة واسعة من المكان امتدت لتشمل جزءاً كبيراً من العالم العربي الإسلامي، كما تجاوزت حدود الزمان؛ فتراوح التأليف فيها على فترات زمنية دون انقطاع؛ وقد كشفت لنا عملية القراءة النقدية لكتاب المختصر في النحو لابن أبي عباد اليميني عن القيمة المعرفية الموجودة فيه، إضافة إلى القيمة المنهجية، التي تمثلت في الطريقة التي اتبعها صاحب المختصر في عرض المادة العلمية، كما توافر كتاب المختصر في النحو على العديد من المبادئ اللسانية التربوية، بدأً من عنوان كتابه الذي يوحي ضمناً بأن صاحبه أراد من وراء تصنيفه أن يكون ذا طابع مخفف، يتناسب عرضه على الناشئة والمتعلمين.

وأما عن مضمون الكتاب؛ فقد اتجه فيه صاحبه وجهة تعليمية خالصة، لا يتجاوز فيها ذكر القاعدة النحوية مقرونة بأمثلة توضحها، مع الحرص على عدم الإكثار من التفصيلات والتفريعات، والتقليل من الشواهد قدر الإمكان، ولا يتعرض لذكر الخلافات النحوية إلا على وجه الأندرة والقلة، مع اشتغال الكتاب على أبواب النحو الأساسية التي يحتاجها المتعلم المبتدئ والتي تفيده في تنمية مهارة التعبير الشفوي والكتابي، إضافة إلى مبدأ الانتقاء على مستوى الآراء والمصطلحات النحوية، مع وضوح الأسلوب وخلوه من الحشو والتكرار،... وهكذا فإن كتاب المختصر في النحو يحتوي على مادة نحوية تعليمية تربية تتسم بالوضوح وعدم التعقيد في الغالب، يمكن استثمارها في بناء مناهج النحو الدراسية في مراحل التعليم العام والجامعي عن طريق تزويدها بالتمارين التطبيقية والأساليب التربوية الحديثة في ضوء الحقائق والخبرات والمستجدات العلمية والتقنية المكتشفة في حقل اللسانيات التربوية التي تُعد مكسبا من مكاسب الدرس اللساني الحديث.

### 5-المراجع:

- 1-المختصر في النحو لابن أبي عباد اليماني، تحقيق ودراسة حميد أحمد عبد الله إبراهيم، رسالة ماجستير في النحو والصرف مخطوطة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1413هـ، 1993م.
- 2-ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1426، 2005.
- 3- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007.
- 4-علي أبو المكارم، النحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري عرض تاريخي- تحليل موضوعي، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني، 1984/1404.
- 5-علي أبو المكارم، تعليم النحو العربي عرض وتحليل، دار الثقافة العربية، 1413، 1993.

6- عبد الله بن عويقل السلمي، المتون والشروح والحواشي والتقاريرات في التأليف النحوي، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث العربي بدبي، العدد الرابع، جمادى الأولى، 1420.

7- علي الطنطاوي، زكريات علي الطنطاوي، ج2، دار المنارة للنشر، السعودية، جدة، ط1، 1405، 1985.

8- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، 1966.

9- عبد الحميد حسن، القواعد النحوية مادتها وطريقتها، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952.

10- محمد عيد أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 1989.

11- محمد صاري، النحو التعليمي في التراث-قراءة نقدية-، بحث مخطوط، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1429، 2008.

-محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديماً وحديثاً دراسة تقييمية في ضوء علم تدريس اللغات، رسالة دكتوراه دولة في اللسانيات التطبيقية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، 2003 مخطوطة.

12- محمد رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، م7، ط1، 1965.

13- محمد عرفة، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، دط، دت.

14- محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2006.

15- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله السبهي، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري النحوي ومكانة مقدمته بين متون النحو مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد التاسع شوال 1429هـ.

16- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

**الهوامش:**

1- للوقوف على العرض التاريخي للمختصرات النحوية النثرية، انظر مقال: النحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري عرض تاريخي-تحليل موضوعي، للدكتور علي أبو المكارم، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الثاني،



1404/1984، ص247، 261. وقد ذكر الدكتور علي أبو المكارم إضافة إلى العرض التاريخي للنحو التعليمي حتى منتصف القرن التاسع الهجري، عرضاً تاريخياً للنحو التعليمي من منتصف القرن التاسع إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، في كتابه تعليم النحو العربي عرض وتحليل. انظر: علي أبو المكارم، تعليم النحو العربي عرض وتحليل، دار الثقافة العربية، 1413، 1993، ص:65، 121.

2- محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديماً وحديثاً دراسة تقييمية في ضوء علم تدريس اللغات، ص:41.

3- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص:472.

4- محمد عيد أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 1989، ص:32، 34.

5- محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديماً وحديثاً دراسة تقييمية في ضوء علم تدريس اللغات، ص:41. الهامش.

6- عبد الله بن عويقل السلمي، المتون والشروح والحواشي والتقاريرات في التأليف النحوي، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث العربي بدبي، العدد الرابع، جمادى الأولى، 1420، ص:265.

7- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص:497.

8- علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، ج2، دار المنارة للنشر، السعودية، جدة، ط1 1405، 1985، ص:43، 44.

9- محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2006، ص:143.

10- محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ص:145.

11- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله السبهي، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى النحوي ومكانة مقدمته بين متون النحو مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، العدد التاسع شوال 1429هـ، ص:228.

12- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص:225.

13- قال ابن خلدون في فصل أطلق عليه في أن العلوم الإلهية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل... وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن

ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط. ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لأن ذلك مخرج لها عن المقصود إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير. فكلما خرجت عن ذلك خرجت في المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها أهم... ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 475.

14- محمد رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، م7، ط1، 1965، ص.: 260.

15- عبد الحميد حسن، القواعد النحوية مادتها وطريقتها، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952، ص.: 275.

16- عبد الحميد حسن، القواعد النحوية مادتها وطريقتها، ص: 259، 260.

17- محمد عرفة، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، ص: 106.

18- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، 1966، ص.: 214، 215.

19- عبد الله بن عويقل السلمي، المتون والشرح والحواشي والتفريعات في التأليف النحوي، ص.: 270.

20- عبد الله بن عويقل السلمي، المتون والشرح والحواشي والتفريعات في التأليف النحوي، ص.: 271.

21- على الرغم من أن المتون والمختصرات النحوية تشكل ثروة علمية وتعليمية (تربوية)، إلا أنه لا يستفاد منها في مناهج التعليم العام والجامعي. وإنما يتم تدريس النحو في هذه المراحل، وبخاصة مرحلة التعليم العام عن طريق إعداد المناهج والكتب المدرسية.

22- أكدت مراجع كثيرة نسبة كتاب المختصر في النحو لأبي محمد الحسن بن إسحاق بن أبي عباد اليميني منها: طبقات فقهاء اليمن، معجم الأدياء، كشف الظنون، هداية العارفين، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ( انظر: كتاب المختصر في النحو لابن أبي عباد اليميني، تحقيق ودراسة حميد أحمد عبد الله إبراهيم، رسالة ماجستير في النحو والصرف مخطوطة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، 1993م، ص 34)

23- نحوي يميني، كان علما مشهورا على مذهب الإمام الشافعي في الفقه، وأديبا فاضلا، عرف بإمام النحو في عصره، ولمكانته العلمية كان أهل النحو يقصدونه، ويرتحلون إليه في طلب النحو والاستفادة منه، وقد ملأت شهرة ابن أبي عباد العلمية آفاق اليمن، وعرفها له

العلماء، وقدرها له طلبة العلم، وقد اعتبر كثير من المترجمين كتابه المختصر دليلا على فضله وعلمه ومعرفته، ومع علو قدره وذيوع شهرته، إلا أن المصادر التي تحدثت عنه لم تذكر له إلا مؤلفا واحدا وهو مختصره في النحو المعروف باسم المختصر في النحو، توفي ابن أبي عباد سنة 440هـ. انظر كتاب المختصر في النحو لابن أبي عباد اليماني، تحقيق ودراسة حميد أحمد عبد الله إبراهيم، من الصفحة: 2 إلى الصفحة 13.

24- لمزيد من التفصيل عن قيمة الكتاب العلمية، وأقوال العلماء فيه، وإفادتهم منه، واهتمامهم به شرحا ونظما، انظر المختصر في النحو، ص: 50، 55. من قسم التحقيق.

25- نلاحظ أن هذه الموضوعات التي ذكرها التي ابن أبي عباد في كتابه المختصر في النحو، تمثل في جملتها الموضوعات الأساسية الوظيفية النافعة التي يحتاجها المتعلم في إتقان مهارة الكلام والكتابة، وهي الموضوعات الكلاسيكية التي نجدتها في معظم المختصرات النحوية.

26- انظر المختصر في النحو، ص: 55، 96، 102، 108، 146، 150، 153، 156.

27- ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص: 102.

28- ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص: 14.

29- ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص: 44.

30- انظر المرجع السابق الصفحات، ص: 33، ص: 49، ص: 52.

31- انظر عبد الرحمن الحاج صالح في مقاله: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، منشور في كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص: 176.

32- ولاشك أن هذا الصنيع الذي سلكه صاحب المختصر في النحو والمتمثل في إيراد المعنى اللغوي والدلالي للمصطلح النحوي على الرغم من أهميته في العملية التعليمية؛ إلا أننا لا نرى له حضورا قويا في مناهج النحو الدراسية. فحذا لو تم الاستفادة من هذه الميزة الموجودة في المختصرات النحوية، فقبل الانطلاق في دراسة المصطلح النحوي وتفصيلاته ومميزاته نبدأ ببيان الدلالة اللغوية للمصطلح، لماذا سميت الأحرف المشبهة بالفعل بهذا الاسم؟، ولماذا قلنا أحرفا ولم نقل حروفا؟، ولماذا سميت كان وأخواتها أفعالا ناقصة؟، ولماذا سميت ظن وأخواتها أفعال قلوب؟، وما معنى نون الوقاية، وما معنى جمع التكسير؟ فريط المصطلحات النحوية بالدلالة اللغوية، يسهم بشكل واضح في فهمها وإدراكها من قبل المتعلم.

- 33-ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص:161. وقد أفاد محقق الكتاب أن ابن أبي عباد صاحب المختصر، قد تكررت منه كثيرا من الكلمات التي تدل على هذا المنحى في التيسير على المتعلمين بعدم شغلهم بذكر المخالفين في المسائل النحوية، فمن ذلك قوله: وقد قيل ص:65، 136، وقوله وجوز بعضهم ص:84، وقوله: وقد حكى: ص:161، وقوله: وزاد بعضهم، ص:160، وقوله: أو على قول أكثر النحويين: ص:117.
- 34-تقول: صيغة قد تكون موجهة إلى تلميذ معين (كأبناء الأمراء والملوك)، وقد تكون صيغة تعليمية مفردة، والمقصود بها كل التلاميذ الذين يجلسون في حلقة العلم.
- 35-ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص:33.
- 36-المرجع نفسه، ص:28.
- 37-ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص:5، 6.
- 38-انظر ص: 42-43-44 من مقدمة التحقيق لكتاب المختصر في النحو.
- 39-انظر هذه المصطلحات النحوية في المرجع السابق من قسم التحقيق ص 30، 32.
- 40-ابن أبي عباد اليماني، المختصر في النحو، ص:7، 8.
- 41-محمد صاري، النحو التعليمي في التراث قراءة نقدية، ص:36.